مَجَلَّــةُ الِاسْتِيعَــابِ
Issn : 2661-7625 Eissn : : 2773-3947
الْمُجَلَّدُ السَّــادِسُ / الْعَـدَدُ: الثَّانِـيّ ص 53-71

سيرة ومناقب الإمام القره ماني

Imam Al-Qarah Mani's biography and prospect

الباحث حكمت نجم عبد يوسف
أد/ حسن أحـمد حسين
[1] جامعة سامراء (العراق)، usiah23044@uosamarra.edu.iq
[2]جامعة سامراء، (العراق)

تاريخ الاستلام: 2024/04/05 تاريخ القبول: 2024/04/28 تاريخ النشر: 2024/05/20

ملخص:

ان مهمة البحث العلمي في التراث الإسلامي مهمة شقية وأمانة ومتعبة في نفس الوقت لأنها تتطلب جهد ووقت وتفرغ وصبر من قبل الباحث تبيان الحقائق والوقوف على الفوائد، وقد اخترت علم من علماء الامة الإسلامية وهو الإمام القرماني أحد أبرز علماء الأمة الإسلامية في القرن الثامن الهجري صنف العديد من المصنفات لعل أبرزها شرح وقاية الرواية في مسائل الهداية، التي عكفت على تحقيقها كـ مشروع رسالة ماجستير في الفقه الحنفي، أسأل الله تعالى أن يوفقني لإتمام هذا العمل، والله ولي التوفيق

كلمات مفتاحية: القرماني، شرح، وقاية، حنفي، فقه

Abstract:

The task of scientific research in Islamic heritage is naughty, honest and tiring at the same time because it requires effort, time, full-time and patience by the researcher to establish the facts and see the benefits And I chose a flag from the scholars of the Islamic Ummah, Imam Al-Qaramani, one of the most prominent scholars of the Islamic Ummah in the eighth century Al-Hijri classified many works, perhaps most notably explaining the prevention of the novel in matters of presentation. I was working on as a master's thesis project

in Hanafi jurisprudence. I ask God Almighty to bless me to complete this work, and God is good

Keywords:. Armenian, Explanation, Prevention, Hanafi, Jurisprudence

[1]) **المؤلف المرسل**: حكمت نجم عبد يوسف **usiah23044@uosamarra.edu.iq**،

1. مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، نحمد الله على نعمه واصلي واسلم على سيد الخلق وحبيب الحق نبينا وسيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، ان مهمة البحث العلمي في التراث الإسلامي مهمة شقية وأمانة ومتعبة في نفس الوقت لأنها تتطلب جهد ووقت وتفرغ وصبر من قبل الباحث تبيان الحقائق والوقوف على الفوائد، وقد اخترت علم من علماء الامة الإسلامية وهو الإمام القرماني أحد أبرز علماء الأمة الإسلامية في القرن الثامن الهجري صنف العديد من المصنفات لعل أبرزها شرح وقاية الرواية في مسائل الهداية، التي عكفت على تحقيقها كـ مشروع رسالة ماجستير في الفقه الحنفي، أسأل الله تعالى أن يوفقني لإتمام هذا العمل، والله ولي التوفيق.

2.حياة الشيخ القره ماني

1.2 اسمه ونسبه ولقبه

اسمه:إسماعيل (الغزي ، صفحة 211) (اللكنوي ، صفحة 287) (كحالة ، صفحة 217).

نسبه: اسماعيل بن بالي قره كمال القرمانى الرومي الحنفي المعروف بابن المستوفى المتخلص بكمالي (البابانى ، صفحة 217).

لقبه: كمال الدين (الغزي ، صفحة 211) (حاجي خليفة ، صفحة 1146 و330)

.2.2ولادته وأسرته

لم تذكر كتب التراجم التي وقف عليها الباحث تاريخ ولادته، ولكن الظاهر أنه ولد قبل النصف الثاني من القرن التاسع، لأنه وفاته كانت سنة (920هـ) (الغزي ، صفحة 211) (اللكنوي ، صفحة 49) (حاجي خليفة ، صفحة 1481و330) (البابانى ، صفحة 217) (كحالة ، صفحة 287) ، وقد تفقه على المولى الخيالي المتوفى سنة (861هـ) (اللكنوي ، صفحة 43) (الزركلي ، صفحة 262).

والغالب أن أسرة كمال الدين الرومي أسرة علمية، فقد ذكرت كتب التراجم أنه له أخ من العلماء يسمى: جمال خليفة (حاجي خليفة ، صفحة 330) ، وهو جمال الدين إسحاق القرماني، وقد كان مشتغلًا في العلم، فاضلًا في فنونه، وقد مال إلى طريق الصوفية في آخر عمره (الغزي و محمد بن محمد، 1997، صفحة 174/175) ، حتى أصبح شيخًا لزاوية في مدينة قسطنطينية (طاشكبرى زاده، صفحة 209) (الكملائي، صفحة 311).

ولجمال خليفة مصنفات؛ منها: «تفسير من سورة المجادلة إلى آخر القرآن» (حاجي خليفة ، صفحة 445) ، و«التوابع في الصرف»، و«حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي»، و«رسالة في أطوار السلوك»، و«رسالة في دوران الصوفية» (البابانى ، صفحة 202)

وقد توفي جمال خليفة سنة (930هـ)، وقيل: سنة (933هـ) (حاجي خليفة ، صفحة 445) (البابانى ، صفحة 202).

وله ولد يُدعى: أحمد بن قره كمال، توفي حوالي سنة (930هـ)، وهو مؤرخ، من تصانيفه: «جواهر البيان في دولة آل عثمان» (كحالة ، صفحة 51)

3.2نشأته وصفاته ووفاته

تلقى كمال الدين الرومي العلم على كبار علماء عصره (طاشكبرى زاده، صفحة 202) ، وممن قرأ عليهم على المولى خيالي (الغزي ، صفحة 211) (الكملائي، صفحة 322) ، ثم اتصل إلى خدمة المولى خسرو (اللكنوي ، صفحة 49).

ومما يدل على علو شأنه في العلم أنه أصبح مدرسًا ببعض المدارس، ثم ترقى حتى صار مدرسًا بإحدى المدرستين المتجاورتين بمدينة أدرنة (مؤنس. خليل ، 1987، صفحة 150) (طاشكبرى زاده، صفحة 202) ، ولكنه تقاعد بسبعين درهمًا، واشتغل بالعلم والعبادة إلى أن مات بقسطنطينية (حاجي خليفة ، صفحة 330)

ويذكر الغزي سبب تقاعده عن التدريس فيقول: «لما كان مدرسًا بإحدى المدرستين المتجاورتين بأدرنة، كان القاضى بها إذ ذلك عبد الرحمن بن المؤيد، فوقع بينهما بعض التنافر، بسبب الاختلاف في مسألة من المسائل العلمية، وبقى ذلك في خاطر ابن المؤيد، فلما ولي قضاء العسكر عزله عن التدريس، وعيَّن له كل يوم سبعين درهمًا عثمانيًّا، بطريق التقاعد، فقنع بذلك، ولزم بيته، واشتغل بالعلم والعبادة إلى أن مات» (الغزي ، صفحة 211).

وقد قال حاجي خليفة: «رأيت له كتابًا كذلك إلى آخر الصلاة ألفه وسمَّاه «الكاشف» وأهداه إلى السلطان سليم خان (حاجي خليفة ، صفحة 140) (الشوكاني ، صفحة 265) » (حاجي خليفة ، صفحة 2024). وهذا يدل على حسن صلته بالسلاطين العثمانيين حتى آخر حياته، فقد ولي السلطان سليم السلطنة سنة (918هـ) (دهيش عبد اللطيف عبد الله، 1416هـ 1995م، صفحة 58) ، وتوفي كمال الدين الرومي سنة (920هـ).

3.حياته العلمية

1.3شيوخه وتلاميذه

– شيوخه:من المحقق أن كمال الدين الرومي كان له شيوخ كثر تلقى عليهم العلم حتى صار مدرسًا في مدرستين من كبار مدارس الدولة العثمانية، ولكن لم تسعفنا كتب التراجم بأسماء شيوخه، ولكن مما ذكرتهم اثنان هما:

– أحمد بن موسى الشهير بالخيالي (الشوكاني ، صفحة 121) و (اللكنوي ، صفحة 43)و (الزركلي ، صفحة 262) (ت: 861هـ) (الغزي ، صفحة 211) (اللكنوي ، صفحة 43)

– المولى خسرو محمد بن فراموز (الادنه و احمد بن محمد ، 1417هـ /1997م ، صفحة 347) (سريكيس يوسف بن اليان ، 1346هـ/ 1928، صفحة 1790) (الزركلي ، صفحة 328) (ت: 885هـ) (اللكنوي ، صفحة 49).

– تلاميذه:لا شك أن كمال الدين الرومي قد تتلمذه عليه كثير من الطلاب واستفادوا منه، ومما يدل على ذلك أنه قد درس في مدرستين من كبار مدارس الدولة العثمانية في عصره، فلا شك أن يكون له تلاميذ كثُر قد أخذوا عنه العلم، ولكن لم تسعفنا المصادر التاريخية التي ترجمت له بأسمائهم

.

2.3مؤلفاته

– «حواش على الكشّاف» (طاشكبرى زاده، صفحة 202) (الغزي ، صفحة 211) (حاجي خليفة ، صفحة 1481) (حاجي خليفة ، صفحة 330) (اللكنوي ، صفحة 49) (البابانى ، صفحة 217) (كحالة ، صفحة 287) (.

– «حواش على تفسير القاضي البيضاوي» (طاشكبرى زاده، صفحة 202) (الغزي ، صفحة 211) (اللكنوي ، صفحة 49) (حاجي خليفة ، صفحة 330) (البابانى ، صفحة 141) (كحالة ، صفحة 287) .

– «حواش على شرح الوقاية» (طاشكبرى زاده، صفحة 202) (الغزي ، صفحة 211) (حاجي خليفة ، صفحة 330) (اللكنوي ، صفحة 49) (البابانى ، صفحة 217) (كحالة ، صفحة 287) .

قال في «كشف الظنون»: «وكتب قره كمال شرحًا كبيرًا على شرح الوقاية لصدر الشريعة وهو ممزوج كتب المتن بالأحمر وعلى عبارة صدر الشريعة بالخط» (حاجي خليفة ، صفحة 2023)

– «حواش على حاشية شرح العقائد» للخيالي (طاشكبرى زاده، صفحة 202) (الغزي ، صفحة 211) (حاجي خليفة ، صفحة 1146) (حاجي خليفة ، صفحة 330) (اللكنوي ، صفحة 49) (كحالة ، صفحة 287) – «حواش على شرح المواقف» للسيد الشريف (طاشكبرى زاده، صفحة 202) (الغزي ، صفحة 211) (حاجي خليفة ، صفحة 330) (اللكنوي ، صفحة 49) (كحالة ، صفحة 287)

– «تاريخ من الخلقة إلى سنة 900» (البابانى ، صفحة 217) (الكملائي، صفحة 329)

– «الكاشف» (حاجي خليفة ، صفحة 2024).

3.3 مذهبه ومكانته العلمية

أما مذهبه فهو: الحنفي، وقد صرح بذلك من ترجم له، ويدل على ذلك أنه مؤلفاته الفقهية في المذهب الحنفي كحاشيته على «شرح الوقاية»، وأن ترجمته تضمنتها كتب التراجم الحنفية (طاشكبرى زاده، صفحة 202) (حاجي خليفة ، صفحة 330) (اللكنوي ، صفحة 49) .

أما عن مكانته العلمية، فنجد أن كتب الطبقات والتراجم قد مدحتهوأكثرت من عبارات المدح والثناء عليه، ومما يدل على ذلك: قال عنه طاشكبرى زاده: «العالم الفاضل الكامل» (طاشكبرى زاده، صفحة 201) وقال الغزي: «أحد فضلاء الديار الرومية» (الغزي ، صفحة 211) وقال حاجي خليفة: «اشتغل بالعلم والعبادة والعمل إلى أن مات» (حاجي خليفة ، صفحة 330). وقال أيضًا: «من علماء الدولة الفاتحية» (حاجي خليفة ، صفحة 1481)

وقال اللكنوي: «كان عالما فاضلًا» (اللكنوي ، صفحة 49).وقال عمر كحالة (اسماعيل يوسف محمد خير ، 1997م، صفحة 397): «مفسر فقيه متكلم» (كحالة ، صفحة 287).

وقال صاحب «معجم المفسرين»: «من علماء الدولة العثمانية... وكان مفسرًا فقيهًا حنفيًّا متكلمًا» (نويهض عادل ، 1988، صفحة 601)

.

4.عصر المؤلف

1.4الحالة السياسية

توفي المؤلف في أوائل القرن العاشر الهجري، سنة (920هـ)، ولم تذكر الكتب التي ترجمت له تاريخ مولده، والظاهر أنه عاش في النصف الثاني من القرن التاسع، وهذه الفترة ضمت ثلاثة من سلاطين الدولة العثمانية، وهم السلطان محمد الفاتح، والسلطان بايزيد خان، والسلطان سليم خان رحمهم الله، وقد كانت الدولة العثمانية في ذلك الوقت دولة قوية مهابة الجانب، وذات نفوذ واسع في العالم الإسلامي، فقد كان العالم في تلك الفترة مشغولًا بفتوحات العثمانيين في أوروبا، وبالصراع العثماني الأوروبي، حيث كانت الفكرة التي تحكم العثمانيين هي جمع العالم الإسلامي في دولة واحدة تحت رايتهم، والانطلاق نحو الغرب الأوروبي للجهاد (حرب محمد ، 1989، صفحة 45)

ومن أهم الأحداث التي تمت في هذه الفترة هو قيام السلطان محمد الثاني بفتح القسطنطينية سنة (857هـ) والتي سُميت بـ«إسلامبول» أي: تحت الإسلام، أو مدينة الإسلام (احمد محمد فريد ، 1981، صفحة 164) (حرب محمد ، 1989، صفحة 24) .

والسلطان بايزيد خان هو (بايزيد الثاني) تقلَّد الحكم بعد وفاة أبيه السلطان محمد الفاتح، عام (886هـ) واستمر في السلطة إلى عام (918هـ)، وكان سلطانًا وديعًا، نشأ محبًّا للأدب، متفقهًا في علوم الشريعة الإسلامية شغوفًا بعلم الفلك، واستعان بالخبراء الفنيين اليونانيين والبلغاريين في تحسين شبكة الطرق والجسور لربط أقاليم الدولة ببعضها (باغي اسماعيل ، 1996، صفحة 50).

ومما يدل على سياسته السلمية: قيام السلطان بايزيد بإرسال رسول من قبله إلى السلطان المملوكي سنة (1491م) ومعه مفاتيح القلاع التي استولى عليها العثمانيون على الحدود، وقد لقى هذا الأمر ترحيبًا لدى السلطان المملوكي، فقام بإطلاق سراح الأسرى العثمانيين، وأسهمت سياسة بايزيد السلمية في عقد صلح بين العثمانيين والمماليك في نفس السنة (1491م)، وظل هذ الصلح ساريًا حتى نهاية عهد السلطان بايزيد الثاني عام (1512م)، وأكَّد هذا الحدث على حرص السلطان بايزيد في سياسة السلام مع المسلمين (بيومي زكريا سليمان ، 1991، صفحة 66)

وفي عهد السلطان بايزيد الثاني في عام (886هـ) استطاع دوق موسكو (إيفان الثالث) أن ينتزع إمارة (موسكو) من أيدي المسلمين العثمانيين، وبدأ التوسع على حساب الولايات الإسلامية، ولا يعني ذلك أن السلطان (بايزيد) وقف موقفًا ضعيفًا أمام هذه الظروف، ولكن الدولة كانت تمر بظروف صعبة في محاربتها

لأعداء الإسلام على امتداد شبه جزيرة الأناضول، وأوروبا الشرقية كلها، فانشغلت بها (عبد الهادي و جمالو جمعة ولين علي احمد وفاء محمد ، 1994، صفحة 49و 50).

استطاع السلطان بايزيد أن يحرز نصرًا بحريًّا على البنادقة في خليج لبانتوا ببلاد اليونان عام (905هـ)، وفي العام التالي استولى على مدينة لبانتو وباستيلاء العثمانيين على مواقع البنادقة في اليونان، أقام البابا (إسكندر السادس) بناء على طلب البنادقة – حلفًا ضد العثمانيين مكونًا من فرنسا وإسبانيا، وتعرض العثمانيون لهجوم الأساطيل الثلاثة: الفرنسي والإسباني والبابوي واستطاعت الدولة العثمانية أن تعقد صلحًا مع البنادقة (باغي اسماعيل ، 1996، صفحة 52).

وقد اهتم بايزيد بإنشاء المباني العامة وفعل الخيرات، فبنى الجوامع والمدارس والعمارات ودور الضيافة والتكايا والزوايا والمستشفيات للمرضى والحمامات والجسور ورتب للمفتي ومن في رتبته من العلماء في زمنه كل عام عشرة آلاف عثماني ولكل واحد من مدرسي المدارس السلطانية ما بين سبعة آلاف وألفين عثماني، وكذلك رتب لمشايخ الطرق الصوفية ومريديهم ولأهل الزوايا كل واحد على قدر رتبته، وصار ذلك أمرًا جاريًا ومستمرًا، وكان يحب أهل الحرمين الشريفين مكة والمدينة (باغي اسماعيل ، 1996، صفحة 53).

على حرص السلطان بايزيد في سياسة السلام مع المسلمين (زكريا سليمان، 1991، صفحة 66)

وفي عهد السلطان بايزيد الثاني في عام (886هـ) استطاع دوق موسكو (إيفان الثالث) أن ينتزع إمارة (موسكو) من أيدي المسلمين العثمانيين، وبدأ التوسع على حساب الولايات الإسلامية، ولا يعني ذلك أن السلطان (بايزيد) وقف موقفًا ضعيفًا أمام هذه الظروف، ولكن الدولة كانت تمر بظروف صعبة في محاربتها لأعداء الإسلام على امتداد شبه جزيرة الأناضول، وأوروبا الشرقية كلها، فانشغلت بها. (عبد الهادي جمال، 1994، صفحة 49)

استطاع السلطان بايزيد أن يحرز نصرًا بحريًّا على البنادقة في خليج لبانتوا ببلاد اليونان عام (905هـ)، وفي العام التالي استولى على مدينة لبانتو وباستيلاء العثمانيين على مواقع البنادقة في اليونان، أقام البابا (إسكندر السادس) بناء على طلب البنادقة – حلفًا ضد العثمانيين مكونًا من فرنسا وإسبانيا، وتعرض العثمانيون لهجوم الأساطيل الثلاثة: الفرنسي والإسباني والبابوي واستطاعت الدولة العثمانية أن تعقد صلحًا مع البنادقة. (باغي، صفحة 52)

وقد اهتم بايزيد بإنشاء المباني العامة وفعل الخيرات، فبنى الجوامع والمدارس والعمارات ودور الضيافة والتكايا والزوايا والمستشفيات للمرضى والحمامات والجسور ورتب للمفتي ومن في رتبته من العلماء في زمنه كل عام عشرة آلاف عثماني ولكل واحد من مدرسي المدارس السلطانية ما بين سبعة آلاف وألفين عثماني، وكذلك رتب لمشايخ الطرق الصوفية ومريديهم ولأهل الزوايا كل واحد على قدر رتبته، وصار ذلك أمرًا جاريًا ومستمرًا، وكان يحب أهل الحرمين الشريفين مكة والمدينة. (باغي، صفحة 53)

وقد ترك السلطان بايزيد حكم الدولة لابنه سليم الأول سنة (918هـ)، وذلك بدعم من الجيش، الذي كان ينظر إليه على أنه الأمل المرتجى في بعث النشاط الحربي للدولة العثمانية بصورة أوسع ودفع حركة الفتوحات إلى الأمام، ولذلك بادر الجيش إلى معارضة والده وتولية ابنه سليم مكانه (دهيش، صفحة 58)

وقد أظهر سليم منذ بداية حكمه ميلًا إلى تصفية خصومه ولو كانوا من إخوته وأبنائهم، وكان يحب الأدب والشعر الفارسي والتاريخ ورغم قسوته فإنه كان يميل إلى صحبة رجال العلم وكان يصطحب المؤرخين والشعراء إلى ميدان القتال ليسجلوا تطورات المعارك وينشدوا القصائد التي تحكي أمجاد الماضي. (أحمد عبد الرحيم، 1406، صفحة 76)

والواقع أن السلطان سليم الأول قد أحدث تغييرًا جذريًّا في سياسة الدولة العثمانية الجهادية فقد توقف في عهد الزحف العثماني نحو الغرب الأوربي أو كاد أن يتوقف واتجهت الدولة العثمانية اتجاهًا شرقيًّا نحو المشرق الإسلامي. (باغي، صفحة 26)

وقد سارت سياسة الدولة العثمانية في زمن السلطان سليم في القضاء على الدولة الصفوية الشيعية، وضم الدولة المملوكية، وحماية الأراضي المقدسة، وملاحقة الأساطيل البرتغالية، ودعم حركة الجهاد البحري في الشمال الأفريقي للقضاء على الأسبان، ومواصلة الدولة جهادها في شرق أوروبا. (الصلابي، 2001، صفحة 177)

وبعد الفتح العثماني لمصر انتقلت الخلافة إلى العثمانيين بتنازل آخر الخلفاء العباسيين في القاهرة للسلطان سليم عن الخلافة، فالسلطان سليم وأجداده كانوا قد كسبوا مكانة عظيمة تلائم استعمال لقب الخلافة في الوقت الذي كان فيه مركز الخليفة في القاهرة لا يعتد به. كما أن فتوح سليم اكسبته قوة ونفوذًا معنويًا وماديًا وخصوصًا بعد دخول الحرمين الشريفين تحت سلطانه وأصبح السلطان العثماني مقصدًا للمستضعفين المسلمين الذين يتطلعون الى مساعدته. (باغي، الصفحات 61-62)

2.4.الحالة الاجتماعية والاقتصادية

من المؤكد أن المدينة العثمانية كانت امتدادًا للمدينة الإسلامية في الدول التي سبقتها، وارتبطت نشأتها وتطورها بمعايير حضارية تأثرت إلى حد كبير بتاريخ الإسلام، وقد نشأت كثير من المدن العثمانية على هيئة مدن صغيرة؛ لأن ظروف نشأتها كانت مرتبطة بهدفي الجهاد والفتح، فما أن استقرت هذه المدن حتى كانت بمثابة سوق تجاري فيها عمليات تبادل السلع بينها وبين القرى التي تحيط بها (مجموعة من المؤلفين، 1999، صفحة 558)

وقد أقام العثمانيون في المدن التي ورثوها من السلاجقة أو التي استولوا عليها بالفتح كثيرًا من المؤسسات الاجتماعية؛ كالمساجد ودور الضيافة ودور الشفاء وغيرها من المؤسسات الصناعية والتجارية وكل ما يدعم البنية التحتية اللازمة للتطور (مجموعة من المؤلفين، 1999، صفحة 558).

تكونت الهيئة الاجتماعية داخل المدن العثمانية من أربع طبقات: طبقة العسكريين، وطبقة التجار، وطبقة أرباب الصنائع، أما الرابعة فتشمل قطاعات أخرى من الناس؛ مثل الباعة المتجولين الذين لم يدخلوا ضمن تشكيلات أرباب الصنائع والعاطلين من العمل والسادات الأشراف الذين اعترفت لهم الدولة بشرف النسب، وفي المدن الرئيسية يوجد الدبلوماسيون والتجار الأجانب. (مجموعة من المؤلفين، 1999، صفحة 558)

وكانت طبقة العسكريين تتكون من الأشخاص الذين اعترف لهم السلطان بمرسوم خاص منه بصلاحيات دينية أو إدارية، ويقبضون رواتبهم من الدولة، ويعفون من الضرائب، وهذه الطبقة ليست مقتصرة على

العساكر والجند كما قد يتبادر من اسمها، بل هي تشمل موظفي القصر، ورجال العلم من الفقهاء والمدرسين والقضاة والمفتين وأئمة المساجد والمؤذنين ومشايخ الطرق الصوفية والسادة الأشراف من آل البيت النبوي، وتشمل كذلك فئة الموظفين الإداريين ممن يعملون في الدوائر الحكومية. (مجموعة من المؤلفين، 1999، صفحة 114)

وقد لعبت التقسيمات الاجتماعية في المدينة دورًا هامًّا في تباين النظرة إلى فئات المجتمع المدني إذ كان الحرفيون يشغلون أسفل السلم الاجتماعي. (لبدمشقي، 1973، صفحة 38)

ومما تميز به العثمانيون نظام الإدارة المحلية، فكان لكل حرفة أو تجارة طائفتها، ولكل قرية إدارتها المحلية، وكان السكان يختارون رؤساء طوائفهم الذين يقومون بتحصيل وصرف الأموال المحلية، والفصل في المنازعات الصغيرة، وإيصال المظالم إلى الحكومة. (مصطفى، صفحة 130)

ويعد العامل الديني من أهم العوامل التي ساهمت في تشكيل المجتمع العثماني القائم على الإسلام، كونه الدين الرسمي للدولة، وهو في الوقت نفسه دين الأكثرية فيه، وكانت الصوفية والتصوف بطرقها المختلفة هي السمة الغالبة على الحالة الدينية في كافة أرجاء الدولة، وكانت بدعم من السلاطين العثمانيين، في مقابل أن تقوم هذه الطرق بإضفاء الشرعية الدينية لهؤلاء السلاطين، وضمان خضوع العامة والنظر إليهم بنظرة تكسوها المهابة والقدسية. (آيدن فريد، صفحة 37)

وكان العلماء في الدولة العثمانية مرجعًا للسلاطين عند الفتن والملاحم، وكانوا يشرفون على الأوقاف وعلى التعليم الذي يتركز في المسجد وما يلحق به من مدارس، كما كانوا يتولون منصب القضاء، وكان منصب المفتي (شيخ الإسلام) يمثل أعلى سلطة دينية في البلاد. (مصطفى، صفحة 114)

وكان للعلماء والفقهاء مقدرة عظيمة على حشد الناس تحت لواء الجهاد في سبيل الله، وإقامة شرعه على الرعية، وكانوا لا يسمحون للسلطان أن يتجاوز أحكام الشرع، وهكذا كانت الطرق الصوفية تمارس تأثيرًا كبيرًا على المجتمع، وكان من شروطها أن يكون الشخص المنتمي مسلمًا صاحب حرفة (علي صالح أحمد،

1953، صفحة 185)، فانخرط غالبية أصحاب الحرف من تشكيلات الفتوة مما جعل الاحتراف والفتوة أمران لا ينفصلان، (مجموعة من المؤلفين، 1999، صفحة 723) وكانوا ينتظمون في طوائف حرفية تختص كل طائفة بصنف معين (مجموعة من المؤلفين، 1999، صفحة 564)، وأدى تصنيف التجارة والحرف في الأسواق إلى توليد شعور قوي بالمصلحة المشتركة، تسبب في ظهور تكوينات اجتماعية من أصحاب الحرف يعملون ضمن منظومة متكاملة سواء في الجانب الخلقي أو في الجانب المهني. (عثمان محمد، 1408، صفحة 363)

وقد غدت التنظيمات الحرفية في العهد العثماني نقابات تشرف من خلالها الحكومة على الحرفيين، إذ أن التنظيم على أساس الحرفة يسهل تجنيد الحرفيين وقت الحرب وجمع الضرائب منهم عند السلم. (فاروق ثريا، 2007، صفحة 269)

وقد كان لهذه الطبقة أكبر الأثر في تشكيل النظام الاقتصادي والمعيشي للدولة، فقد كان يقع على عاتق أرباب الحرف والصناعات الصغيرة تأمين حاجات المجتمع من السلع والأدوات والجلود والمنسوجات، والتي أصبحت ذات أثر كبير وفعال في التبادل التجاري مع الدول المجاورة. (أوزنونا، 1990، صفحة 591)

وقد كانت المدن العثمانية تضم المسلمين وغير المسلمين، كما أن تعلم الحرفة مسموح لجميع الأشخاص بمختلف دياناتهم، إذ أكدت الوثائق العثمانية عدم وجود تحفظ لدى المسلمين من قبول صبايا من أهل الذمة ليعلموهم الحرفة (أبو مسلم ، 2000، صفحة 77)، إلا أن أغلب التنظيمات الحرفية كان أعضاؤها من دين واحد. (مجموعة من المؤلفين، 1999، صفحة 569)

وأما أهل الذمة فقد كانوا في ظل الدولة العثمانية يتمتعون بحرياتهم الدينية، فقد اعترف السلطان محمد الفاتح للمسيحيين واليهود والأرمن بتشكيل طوائف دينية لا تتدخل الدولة في شؤونها تعرف باسم (الملل)، ولكل منها حق استعمال لغتها الخاصة، وإنشاء معاهدها الدينية والتعليمية. (مجموعة من المؤلفين، 1999، صفحة 552)

3.4 الحالة العلمية

لا شك أن الدولة كلما قويت شوكتها وزادت في تقدمها وعمرانها، كان ذلك أدعى لتقدمها في مجال الفكر والعلم، وفي هذا يقول العلامة ابن خلدون: «قدمنا أن الصنائع إنما تكثر في الأمصار، وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلة والحضارة والترف تكون نسبة الصنائع في الجودة والكثرة، فمتى فضلت أعمال أهل العمران عن معاشهم، انصرفت إلى ما وراء المعاش من التصرف في العلوم والصنائع، واعتبر ما قررناه بحال بغداد وقرطبة والقيروان والبصرة والكوفة، لما كثر عمرانها صدر الإسلام، واستوت فيها الحضارة، كيف زخرت فيها بحار العلم...». (ابن خلدون، 1425، صفحة 130)

ولقد بلغت الدولة العثمانية إبان الفترة التي عاش فيها الإمام قره كمال الرومي ذروة مجدها وفوتها، خصوصًا بعد فتح القسطنطينية، ومما زاد في النشاط العلمي أن السلاطين العثمانيين في هذه الفترة كانوا محبين للعلم، شغوفين به، مقدّمين لأهله، مبجلين لهم، شديدي الحفاوة بهم.

وقد قام النظام التعليمي في الدولة العثمانية على أسس إسلامية واضحة المعالم مصدرها القرآن الكريم والأحاديث الشريفة والاستفادة من الحضارات التي سبقتها، مع خلق كيان منفرد لها بعيدًا عن المؤثرات الخارجية، وسارت وفقًا لبرنامج حددته ونجحت فيه بصورة كبيرة للوصول إلى أهدافها المرجوة، وسيتضح ذلك فيما يلي:

– في الفترة التي عاش فيها العلامة قره كمال، كان يظهر فيها حرص السلاطين العثمانيون على العلم، حيث أقاموا هيئة من أهل العلم لها الخبرة والقدرة ما يكفي لمواجهة حاجاتهم في تعليم رعايا الدولة. (سليم أحمد، 2010، صفحة 14)

كان الإنفاق على المدارس العلمية أمرًا ضروريًّا لهذا الغرض، فقد اهتم السلاطين بإنشاء مراكز للتعليم وأرصدوا عليها الأوقاف العظيمة في شتى مدن الدولة، وبخاصة في العاصمة إستانبول، وكانت هذه المدارس تتمتع

بأهمية خاصة على حين كان من الطبيعي أن تتمتع مدراس إستانبول بالمركز الأسمى؛ لأنها كانت أكثرها عددًا. (الأرشيف العثماني)

وقد رتبت المدارس على درجات ومراحل، ووضع لها المناهج، واتخذ لها الامتحانات، فلا ينتقل طالب من مرحلة إلى أخرى إلا بعد امتحان دقيق، وأحيانًا يحضر هذه الامتحانات السلطان العثماني بنفسه. (الرشيدي، 2013)

أما عن طريقة الدراسة في هذه المدارس: فعادة ما يكون سن الالتحاق بها ما بين 5 – 6 سنوات، وهذه هي المرحلة التي يمكن أن نسميها: المرحلة الابتدائية، أما العلوم التي يدرسها الطالب في هذه المرحلة فكانت عبارة عن تعلم مبادئ القراءة والكتابة وبعض العلوم الدينية ومبادئ الحساب ، وفي عهد السلطان بايزيد الثاني ألحق مدرسة ابتدائية بالكلية التي أنشأها في إستانبول لتعليم قراءة القرآن ودراسة علومه. (الهلالي، 1959، صفحة 47)

وفي عهد السلطان محمد الفاتح تم وضع قانون يحدد نظام التعليم في المدارس، وبالفعل تم تطبيقه بنجاح وبصورة جيدة واستمر العمل بهذا القانون، وعرف هذا القانون باسم «قانون طلبة العلوم». وفي عهد السلطان بايزيد الثاني تم إنشاء (دار القراء)، وهي دار كانت تهتم بتعليم قراءة القرآن الكريم وكيفية تجويده بصورة سليمة، وقد استدعى لها الشيخ شمس الدين محمد الجزيري من مصر للقيام بالتدريس في هذه الدار. (توهامي، 2012، الصفحات 97-98)

ويلاحظ أن جهود العلماء في هذا العصر قد انصبت على تأليف المتون والتعليق عليها أو معارضتها، ثم تأليف الحواشي على هذه الشروح، ثم تأليف الحواشي على الحواشي، ويكفي للتمثيل على ذلك أنه أُلف على كتاب «الهداية» أكثر من مائة كتاب، ما بين شرح وتخريج وحاشية، ومثل ذلك أو قريبا منه كتاب «الوقاية»، فكان جهدهم مشكورًا، يجمع المتناثر من كلام الأولين، ونصب الدلائل على مذاهبهم واختياراتهم وشرح عباراتهم، وتأليف المتون وجعلها مختصرة ميسرة للحفظ، ثم شرحها وخدمتها، والمقارنة بين المذاهب، وإلحاق الفروع بالأصول، إلى غير ذلك من الأعمال العظيمة والخدمات الجليلة التي قاموا بها، وفي تقرير هذه

الحقيقة يقول العلامة ابن عابدين: «وأنت ترى كتب المتأخرين تفوق على كتب المتقدمين في الضبط والاختصار وجزالة الألفاظ وجمع المسائل؛ لأن المتقدمين كان مصرف أذهانهم إلى استنباط المسائل وتقويم الدلائل، فالعالم المتأخر يصرف ذهنه إلى تنقيح ما قالواه، وتبيين ما أجملوه، وتقييد ما أطلقوه، وجمع ما فرقوه، واختصار عباراتهم، وبيان ما استقر عليه الأمر من اختلافاتهم...». (ابن عابدين، 1992، صفحة 28)

وفيما يتعلق بالمناهج الدراسية نجد أن الدولة العثمانية في ذلك الوقت كانت حريصة على جمع كل ما استطاعوا الوصول إليه من علوم، لكن كان اهتمامهم الأساسي منصبًّا على العلوم الدينية، والتي كرَّسوا جهودهم لفترة طويلة للإلمام بها والوصول إلى الدراسات الحديثة منها؛ لذلك كانوا على اتصال مباشر ودائم بالعواصم العربية الإسلامية داعين علماءهم وأساتذتهم للتدريس في مدراسهم وكتاتيبهم. (إينالجيك، 2007، الصفحات 255-256)

من جهة أخرى استعانوا بعلماء العلوم العقلية من مختلف بلدان العالم خاصة المتحضر منها آنذاك، ولم يبخلوا بالعطاء على هؤلاء العلماء والأساتذة، فصارت مراكز الدولة العثمانية من أهم وأكبر مراكز العلم والثقافة في العالم الإسلامي آنذاك. (سليم أحمد، 2010، صفحة 16)

وقد كان للسلاطين العثمانيين اهتمامًا بالطب وتعليمه، فقد أنشأ السلطان بايزيد الثاني دارًا للشفاء في مدينة أدرنة، وكانت تحتل مكانة هامة في علاج أمراض العيون ومداواة الأمراض العقلية (سليم أحمد، 2010، صفحة 28)

5. خاتمة

من خلال هذه الرحلة الممتعة مع الإمام القره ماني توصلنا إلى عدة نتائج:

- ✓ الإمام القره ماني من علماء نهاية القرن الثامن الهجري.
- ✓ هو من نسل الإمام صدر الشريعة

- ✓ قام بشرح كتاب وقاية الرواية
- ✓ كان حنفي المذهب.
- ✓ شغل العديد من المناصب المهمة
- ✓ له العديد من المصنفات.
- ✓ توفي ببخارى سنة 747هـ.

6. قائمة المراجع

1) الغزي، الطبقات السنية
2) كحالة، معجم المؤلفين
3) البابانى، هدية العارفين
4) حاجي خليفة، كشف الظنون
5) حاجي خليفة، سلم الوصول
6) الزركلي، الأعلام
7) الغزي، محمد بن محمد، ١٩٩٧م، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، دار الكتب العلمية ، بيروت.
8) طاشكبرى زاده، الشقائق النعمانية.
9) الكملائي، البدور المضية.
10) حاجي خليفة، كشف الظنون
11) مؤنس، حسين، 1987م، أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة.
12) الشوكاني، البدر الطالع.
13) دهيش، عبد اللطيف عبد الله، 1995م، قيام الدولة العثمانية، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة
14) المكرمة.
15) الأدنه، أحمد بن محمد،١٩٩٧م، طبقات المفسرين، مكتبة العلوم والحكم، السعودية.
16) سركيس، يوسف بن إليان، ١٩٢٨م، معجم المطبوعات العربية، مطبعة سركيس، مصر.

.

17) يوسف،إسماعيل ، خير، محمد، 1997،تكملة معجم المؤلفين، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

18) نويهض، عادل،١٩٨٨م، معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت.
19) حرب، محمد، 1989م،العثمانيون في التاريخ والحضارة، دار القلم، دمشق.
20) أحمد،محمد فريد، 1981م،تاريخ الدولة العلية العثمانية، دار النفائس، بيروت.
21) باغي، إسماعيل،1996 ،الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان.
22) بيومي، زكريا سليمان، 1991م، قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين، عالم المعرفة.
23) عبد الهادي، جمال، وجمعة، ولبن، علي أحمد، فاء محمد، الدولة العثمانية – أخطاء يجب أن
24) تصحح في التاريخ، 1994م، دار الوفاء.
25) مصطفى، أحمد عبد الرحيم، 1986م،في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق.
26) الصلابي، علي محمد، 2001م،الدولة العثمانية – عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر.
27) مجموعة من المؤلفين، 1999م، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، مركز الأبحاث والتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إستانبول.
28) الدمشقي، جعفر بن علي، 1973م، الإشارة إلى محاسن التجارة، دار الاتحاد العربي ، القاهرة،
29) آيدن، فريد الدين، الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها، العبر للطباعة والنشر
30) والتوزيع.
31) علي، صالح أحمد، 1953م،التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري،

.

32) عثمان، محمد عبد الستار، 1998م،المدينة الإسلامية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت
33) فاروقي، ثريا، وآخرون، لجيك، 2007م، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية ، دار المدار الإسلامي، بيروت.
34) أوزنونا، يلماز، 1990م، تاريخ الدولة العثمانية مؤسسة فيصل للتمويل، اسفابول .
35) أبو مسلم، عيسى سلمان، 2000م، الأصناف والطوائف الحرفية في مدينة دمشق خلال النصف الأول

36) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، 2004م، مقدمة ابن خلدون، دار البلخي ، دمشق.
37) سليم، أحمد محمد، 2010م، تطور المؤسسات التعليمية النظامية في مركز الدولة العثمانية حتى بداية
38) عصر التنظيمات 1839م، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة.
39) الأرشيف العثماني برئاسة مجلس الوزراء التركي بإستانبول، دفتر أوقاف رقم (313)، (1585-1683).

40) الرشيدي، محمد سالم، محمد الفاتح، 2013م ،دار البشير، مصر.
41) الهلالي، عبد الرزاق، 1959م، تاريخ التعليم في العهد العثماني 1638-1917م، بغداد.
42) بشير، توهامي، 2012م، مراكز السلطة الحاكمة والسلطة الدينية في الدولة العثمانية والعلاقة بينهما
43) ما بين (982-1112هـ / 1574-1700م)، جامعة أبو القاسم سعد الله، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
44) ابن عابدين، محمد أمين بن عمر، 1992م،رد المحتار على الدر المختار، دار الفكر، بيروت
45) إينالجيك، خليل، 2007م، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، دار المدار الإسلامي، بيروت
46) سليم، 1839م، تطور المؤسسات التعليمية النظامية في مركز الدولة العثمانية حتى بداية عصر التنظيمات .